الابتكار في مناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية: توظيف الجيولوجيا كأداة لفهم التحديات الاجتماعية.

حسين سالم مرجين

تأتي هذه المقالة في إطار توضيح ما طرحته في المقالة السابقة بعنوان "توظيف منهجية البحث العلمي في علم الجيولوجيا في العلوم الاجتماعية". وقد تلقيت ردًا من أحد الأساتذة في علم الاجتماع يشير فيه إلى أن المنهجية في العلوم الاجتماعية متوفرة ومناهج البحث العلمي الأكاديمي متكاملة، مشابهة لمناهج العلوم الأخرى، ولكنه يعتقد أنه قد يكون هناك حاجة لدعم وتيسير إجراء هذه الدراسات وتطبيق نتائجها. أستوعب وأفهم جيدًا وجهة نظر الأستاذ العزيز، حيث يعتمد على المراحل العشرة التي تعلمناها في البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، وهذا أمر طبيعي. ومع ذلك، أعتقد أنه من الضروري الخروج من المنهج التقليدي والبحث عن مقاربات جديدة في مناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية. فقد أوضحت في مقالتي أنه رغم وجود تشابه في المنهجية، إلا أن آلية التفكير في معالجة الظواهر تختلف، وهذا هو المقصود من مقالتي. بشكل عام، يمكن تحديد بعض المجالات التي أراها مهمة في التوظيف، وهي :

1. توظيف منهجية علم الجيولوجيا في العلوم الاجتماعية يمكن أن يساهم في توسيع آفاق البحث وتنويع الأدوات والمناهج المستخدمة في دراسة العلاقات الاجتماعية. قد يتم تحقيق اكتشافات وفهم أعمق للعلاقات بين الناس والمجتمعات عن طريق استخدام أدوات وتقنيات علم الجيولوجيا.
2. توظيف منهجية علم الجيولوجيا في العلوم الاجتماعية يمكن أن يساهم في التكامل العلمي بين التخصصات المختلفة. قد يكون هناك تبادل مفيد للمعرفة والمناهج بين العلوم الطبيعية والاجتماعية، مما يؤدي إلى تطوير تفاهم أعمق للظواهر الاجتماعية وتحليلها.
3. قد يساهم توظيف منهجية علم الجيولوجيا في العلوم الاجتماعية في إحداث تغيير وابتكار في مجال العلوم الاجتماعية، وهذا مطلوب حاليًا. ويشمل ذلك الحلول والمعالجات الابتكارية، وليس المعالجات النمطية. وهذا يعني الحاجة إلى تطوير أساليب جديدة لجمع البيانات وتحليلها وفهم العلاقات الاجتماعية بشكل أعمق وأدق.
4. توظيف منهجية علم الجيولوجيا في العلوم الاجتماعية يمكن أن يكون مفيدًا في التعامل مع المشكلات المعقدة والتحديات الاجتماعية الكبيرة. قد توفر منهجيات علم الجيولوجيا طرقًا جديدة لتحليل وفهم هذه المشكلات وتطوير استراتيجيات فعالة للتعامل معها.

وعموماً، يمكن أن يتم طرح مثال واحد من تلك الأفكار التي يمكن أن تشكل نقلة مهمة في البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، وهو متعلق بكيفية توظيف فكرة الخرائط الجغرافية في النظر إلى المشاكل الاجتماعية. يمكن توظيفها في المجالات التالية:

1. يمكن استخدام الخرائط الجغرافية لتحليل التوزيع الجغرافي للعوامل الاجتماعية مثل الدخل، التعليم، الصحة، والأوضاع السكانية. حيث يمكن رسم البيانات على الخريطة لتحديد المناطق ذات التحديات الاجتماعية الخاصة وتوجيه الجهود والموارد إلى هذه المناطق.
2. يمكن استخدام الخرائط الجغرافية لتحليل العلاقات الاجتماعية والتواصل بين المجموعات والمجتمعات. يمكن تحديد المناطق التي تعاني من انعدام التواصل أو التوتر الاجتماعي وتوجيه جهود تعزيز التواصل والتفاهم.
3. يمكن استخدام الخرائط الجغرافية لتخطيط المدن وتطويرها بشكل أكثر فاعلية. يمكن تحليل الخرائط لتحديد المناطق ذات الاحتياجات الاجتماعية العالية مثل السكن الاجتماعي، المرافق العامة، والخدمات الصحية، ومن ثم توجيه التنمية الحضرية وتوزيع الموارد بناءً على هذه الاحتياجات.
4. يمكن استخدام الخرائط الجغرافية لتحليل النزاعات والعنف الاجتماعي وتحديد المناطق التي تشهد مستويات عالية من الجريمة والتوتر الاجتماعي. يمكن استخدام هذه المعلومات لتوجيه جهود الأمن والتنمية المجتمعية للتخفيف من النزاعات وتعزيز الأمان والاستقرار.
5. يمكن استخدام الخرائط الجغرافية لتحليل التغيرات البيئية والاجتماعية على مر الزمن. يمكن رصد التغيرات في استخدام الأراضي وتأثيرها على المجتمعات المحلية ومن ثم اتخاذ إجراءات للتكيف مع هذه التحولات والتخفيف من آثارها السلبية.

هذه مجرد بعض الأمثلة على كيفية استخدام فكرة الخرائط الجغرافية في مجالات ذات علاقة بالمشاكل الاجتماعية. كما يمكن استخدامها في مجالات أخرى أيضًا، مثل تحليل الهجرة والتنقل، وتحليل التوزيع الديموغرافي، وتحليل الفقر وعدم المساواة، وتحليل النمو الحضري والريفي، وغيرها الكثير. وهذا يعني ببساطة شديدة أن توظيف الخرائط الجغرافية يساعدنا على فهم المشكلات الاجتماعية بشكل أعمق وتوجيه الجهود والسياسات بشكل أكثر فعالية. بالتالي، قد يكون هناك حاجة لدعم وتسهيل توظيف منهجية علم الجيولوجيا في العلوم الاجتماعية.

كما يجب علينا أن ندرك أن تطوير مناهج البحث في العلوم الاجتماعية تم بواسطة مفكرين من العلوم التطبيقية. وبالتالي، تبادل المعرفة والمناهج بين التخصصات المختلفة يمكن أن يسهم في إثراء البحث العلمي وتعزيز التفاهم الشامل للظواهر الاجتماعية، وبالتالي تحقيق فهم أعمق للعلاقات الاجتماعية ومعالجة التحديات الاجتماعية المعقدة.